المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلية (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلية (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

المخلص

القران العاشر... رواية تمزج الحلم بالكوابيس لتطرح علينا فكرة سيولة الحياة وانتقالها من السلف إلي الخلف، حيث لا شيء يفنى أو يموت.

فالموتى يعودون كما يتضح في شخص الجد الأكبر "حاطوم" حيث المتجدد في الابن الأصغر "حاطوم" ويختلط اللامعقول واللامنطقي بالواقع الذي عاشه الراوي ويمتد حلم متواصل يفضي به إلي زمن آخر... زمن ما بعد الزمن. هذه الرواية تتجاوز المعقول والمنطقي وتعبّر عن رؤية فلسفية تغوص في أعماق النفس البشرية.

وفي هذا البحث التحليل النقدي، سنتناول موضوع المكان وأنواعه الواردة في رواية (القران العاشر) وبيان مدى تأثير هذه الأمكنة على شخصيات الرواية سلبياً أو ايجابياً.

Abstract

The tenth Qur'an...a novel that mixes dreams with nightmares, to present to us the idea of the fluidity of life and its transfer from the predecessor to the successor, where nothing perishes or dies.

so the dead return, as is evident in the person of the great-grandfather "Hatoum" as it is renewed in the younger son "Hatoum" and the absurd and illogical lie in the reality that The narrator lived it and extends it

In this research, critical analysis, we will address the subject of the place and the types of places mentioned in the novel (The Tenth Century) and indicate the extent of the impact of these places on the characters of the novel, negatively or positively.

المقدمة

لقد وقع الاختيار على المكان وأنواعه ودلالاته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلي (حسين رحيم) وهو روائي وقاص وكاتب مسرحي معروف في الوسط الأدبي المحلي والعربي. الحقيقة أن رواية القران العاشر من الروايات غير التقليدية، ويمكن تصنيفها ضمن الروايات العجائبية، إذ ضم نصها أحداثاً وشخصيات وأماكن خيالية، وقد وظّف الكاتب خلالها مخزون قراءاته الفلسفية والميثولوجية والأساطير في مشاهد وصور متداخلة متراكبة لا تأخذ خطاً مسارياً نمطياً، وتأرجحت الأزمنة فيها بين الماضي والحاضر والمستقبل، ولعل ذلك أول صعوبة تواجه القارئ المبتدئ فضلاً عما أحاطت فترة كتابة البحث من ظروف قاهرة صادمة. أما موضوع بحثنا فيعد بحثاً بكاراً عن الرواية، إذ لم تتوفر أية معلومات عن دراسة حول الرواية برمتها، وقد تمحور البحث حول المكان وأشكاله ودلالاته في الرواية، وتبعاً لمناهج بعض الدراسات النقدية والأكاديمية الرصينة التي اهتمت بعنصر المكان في البناء الفني للنص، فقد ارتأينا أن نخطو خطواتها في عرض الموضوع، فاشتمل البحث على أربعة أنواع من الممكنة، وهي: المكان المفتوح، والمكان المغلق، والمكان الأليف، والمعادي، ويتناول مبحث مستقل كل نوع من هذه الممكنة.

وقام أسلوب البحث - بصفة عامة - في عملية القراءة والعرض والاستنتاج على منهج تحليلي وصفي يعتمد على بعض الإضاءات التاريخية، ولم يعدم البحث من محاولة قراءة بعض الصور والمشاهد الغرائبية وفق المنهج التأويلي، وكل ذلك نتيجة طبيعة الرواية العجائبية. وقد احتوى البحث على مقدمة وتمهيد الذي تناول بعض المفاهيم عن المكان لغة واصطلاحاً وعرض مناسب لسيرة وأدب الكاتب حسين رحيم، وتضمنت السيرة قراءة موجزة للتعريف بالرواية، وانتهى البحث بالخاتمة التي جاءت خلاصة لأبرز سمات الممكنة ودلالاتها، ثم كشف بالمصادر والمراجع ثم قائمة الهوامش .

التمهيد :

أ. مفهوم المكان :

١-المكان لغةً: الموضع، والجمع أمكنة وأماكن، والمكان مذكر^(١)، وأصله من كان ويكون وكائن، وقد اشتهر في لسان العرب ب (المكان من مكن-يمكن) أن ميمه أصلية !، وقيل: المكان الموضع الحاوي لكيثونة الشيء، وهو عند المتكلمين اجتماع جسمين (حاوٍ ومحتوى) في آن واحد^(٢)، وقيل: إنه جوهر مهياً لاستقرار الشيء، وهو مأخوذ من التمكن، لأنه يتمكن عليه^(٣).

وقد وردت لفظة المكان في صيغ عديدة: مكان، مكانة، مكانتكم... وفي معظمها تفيد

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

موضعا أو حيزاً محدداً وغير محدد، ففي قوله تعالى: ((لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى)) (طه: ٥٨) قيل: وسط بين القريتين^(٤) وفي قوله تعالى: ((ورفعناه مكانا علياً)) (مريم: ٥٧)، قيل: رفعه إلى السماء السادسة أو السابعة، وقيل: إلى الجنة لأنه لا شيء لمقام البشر أعلى منها^(٥).

٢- المكان اصطلاحاً:

لا شك أن المكان يمثل محوراً أساسياً من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، غير ان المكان - في الآونة الأخيرة- لم يعد مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، كما لا يُعدّ معادلاً كئنائياً للشخصية الروائية، ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني، وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي، فالمكان (بوصفه تجربة تحمل معاناة الشخصيات وافكارها ورؤيتها للمكان وتثير خيال المتلقي فيستحضره، بوصفه مكاناً خاصاً متميزاً)^٦ هذا بالإضافة إلى أن المكان لا يزال يلعب دورا هاما في تكوين هوية الكيان الجماعي وفي التعبير عن المقومات الثقافية. إذن المكان (ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ اشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الاحيان هو الهدف من وجود العمل كله)^٧.

إن المكان في الرواية وفي أي نص أدبي هو مكان خاص، له مقاصده ورؤاه التي تمثل مقاصد المؤلف ورؤاه السياسية والثقافية، (إنّ إضفاء صفات مكانية على الافكار المجردة يساعد على تجسيدها، وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرّد، مما يقربه إلى الافهام، وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية والاخلاقية والزمانية)^٨ فللمكان بعده السياسي والاجتماعي والثقافي، بل هو يملك دوراً وجودياً في حياة الإنسان منذ بداية الخلق (فلا بد من اختراق الشخصيات الروائية للمكان، وإحياء العلاقات المكانية، وجعلها نابضة بالحركة والفعل)^٩ لأن المكان في الرواية هو المكان معروضاً في زاوية الراوي والشخصيات والافكار والحوادث ومن خلال تفاعلها جميعاً معه .

لقد كانت مغادرة المكان أول إشكالية في حياة المخلوق، ذلك أنّ العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة درامية، حيث تنشأ بين الانسان و المكان علاقة متبادلة أي يؤثر فيها كل طرف على الاخر، من هنا كان الاعتداء على المكان يعمل بجدل دائم مع الاعتداء على الإنسان.

فكل تخريب للأرض يعمل بعمق على تخريب الذات الإنسانية وتجريحها. يقول غاستون باشلار: "إن المكان الذي يجذب إلى الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذات أبعاد هندسية فحسب كمكان قد عاش فيه بشر بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، فالخيال يغني نفسه دون توقف بالصور الجديدة"^(١٠).

وينقسم المكان عند أبرز النقاد والمهتمين إلى أنواع وأشكال، فمنه: المكان المفتوح مثل الساحات والشوارع والأنهر والبحار والصحراء، ومنه المغلق: كالبيت والحوش والغرفة والسرداب والقاعة والمكان الأليف مثل: البيت، والمدرسة، والحدائق، والأماكن السياحية، وأما المكان المعادي: مثل السجون والحواجز الاصطناعية، والصحراء القاحلة، والكهوف المجهولة، والوديان العميقة.

وهذا التقسيم ليس محددًا بل يقسم حسب طبيعة موقف الشخصية في العمل الفني من المكان وعلاقته به وما يثير من مشاعر تجاهه خلال الأحداث، ويقترن مع مصطلح المكان مصطلحات مرادفة مثل الحيز، والموضع، والمقر، والمسكن... الخ^(١١)

من المعروف لدى الدارسين أن المكان ليس فقط أبعاد هندسية وحجوم بل دلالات نفسية واجتماعية ودينية، فضلا عن معيار قدرة الإنسان في التفاعل مع الأمكنة بأنواعها سلبا أو إيجابا لتوليد الأحداث واستغلالها في تحقيق غاياته وأهدافه^(١٢).

ب- سيرة الكاتب حسين رحيم ونتاجه الأدبي: كتب عن سيرته الذاتية بنفسه فقال:

. الاسم الأدبي: حسين رحيم.

. الموالي: ١٩٥٤

. عضو اتحاد ادباء وكتاب العراق.

. عضو اتحاد الدراميين العراقيين.

- عضو لجنة فحص النصوص في المسابقة الأبداعية السنوية التي تقيمها جامعة الموصل

. عضو اتحاد كتاب الأنترنت العراقيين.

. عضو نقابة الفنانين العراقيين.

- المؤلفات:-

١-القران العاشر (رواية) الهيئة المصرية العامة للكتاب/عام٢٠٠٧.

٢-أبناء السيدة حياة (رواية) منشورات ليندا/سوريا/عام ٢٠١٣.

٣-لعنة الحكواتي (مجموعة قصص) دار صحارى للنشر/العراق/موصل.

٤-الإخوة ياسين (مجموعة مسرحيات) دار صحارى للنشر/العراق/موصل.

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

- ٥- دمع العسل (ديوان شعر) دار مومنت للنشر والتوزيع/لندن/بريطانيا.
- ٦- حزن الخورنق (رواية) دار مومنت للنشر والتوزيع لندن/بريطانيا (تحت الطبع).

القصص:

- ١- رقيم الطوقان: نُشرت في مجلة ثقافات البحرينية وجريدة الزمان.
- ٢- حقيبتى الصفراء: التي نُشرت في جريدة نينوى والزمان والأديب وموقع معابر.
- ٣- صهيل الجنادب: نُشرت في جريدة نينوى وجريدة الزمان.
- ٤- الفارس: نُشرت في مجلة الجامعة/الموصل/عام ١٩٧٦ .
- ٥- السيد وادي عكاب: نُشرت في جريدة الأديب/عام ٢٠٠٦.
- ٦- صبي الأحلام: نُشرت في مجلة الجامعة الاردنية.
- ٧- أغنية معيوف: نُشرت في مجلة ثقافات البحرينية.
- ٨- سيد حديقة الشهداء.

-المسرحيات:

- ١-الإعدام: شاركت في مهرجان المسرح العراقي في بغداد عام ١٩٩٤، و شاركت في مهرجان الحدباء المسرحي الذي أقامته كلية الفنون الجميلة في الموصل (نيسان/٢٠٠٦).
- ٢-الإخوة ياسين: شاركت في مهرجان المسرح العراقي في بغداد عام ١٩٩٦.
- ٣-هذيانات معطف: شاركت في مهرجان المسرح العراقي في بغداد عام ١٩٩٦ , نُشرت في مجلة سطور المصرية.
- ٤-عشق يبحث عن رحيل: شاركت في مهرجان المسرح الشبابي الرابع عام ١٩٩٧، نُشرت في مجلة سطور المصرية.
- ٥-لا آت امرأة: مونودراما نُشرت في مجلة تاكي الأردنية وقدمتها كلية الفنون الجميلة - جامعة الموصل.
- ٦-الجمجمة (مونودراما بانتومايم) شاركت في مهرجان الحدباء المسرحي الذي أقامته كلية الفنون الجميلة في الموصل (نيسان ٢٠٠٦) وكذلك شاركت في مهرجان اللادقية للمونودراما في سوريا.
- ٧-اكثر من عشرين نصا مسرحيا شعبيا كوميديا عرض اغلبه على مسارح مدينة الموصل.
- ٨-مسافر زاده الظلام نشرت في جريدة مسرحنا المصرية.
- ٩-ليلة الكراس. نشرت في موقع مسرحيون.
- ١٠-الرجل الرابع ..... مونودراما.

١١- على صهوة الإيمان مسرحية.

١٢- ترنيمات سومرية.

١٣- شتاء الكبرياء.

١٤- الخفاشة.

-الجوائز:

١. الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقيمت في مركز شباب الموصل عام ١٩٧٥، وكان ذلك أول نص قصصي اكتبه وعنوانه (صبي الأحلام).

٢- الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها جريدة نينوى بقصة (حقيبي الصفراء التي...) عام ٢٠٠٠.

٣- الجائزة الأولى في مسابقة قناة الديار الفضائية للقصة والشعر، قصة (سيد حديقة الشهداء).

٤- الجائزة التقديرية الأولى في مهرجان البغدادية الأول للقصة القصيرة والرواية عن الرواية الموصلية.

٥- جائزة ناجي نعمان العالمية عن قصة (لعنة الحكواتي) عام ٢٠٠٩.

المقالات والدراسات:

أولاً: عشرات المقالات والدراسات في المسرح والموسيقى والفن التشكيلي والرواية منشورة في أكثر من صحيفة ومجلة عراقية وعربية ومواقع الكترونية مثل موقع معابر (وموقع مسرحيون).

ثانياً: عدة لقاءات وحوارات معي في مجلات وصحف عراقية حول منجزتي الإبداعي وعدة لقاءات في فضائيات عراقية.

- ما كتب عنه:

١- قراءة في مسرحيات حسين رحيم: بحث القي في المؤتمر السابع لكلية الفنون الجميلة

جامعة بغداد (٢٠٠١ - ٢٠٠٢) بقلم د. نجم الدين عبدالله سليم.

٢- الفضاء الدرامي في مسرحية الإخوة ياسين تأليف حسين رحيم: بحث القي في ندوة التأليف المسرحي الذي أقامته كلية الفنون الجميلة في جامعة الموصل بقلم المدرس المساعد: بشار عبد الغني.

٣- الجمجمة عرض موندرامي من العراق بانتومايم رائع ومضمون معبر: بقلم ندى كمال سلوم ورفيدة يونس احمد (سوري).

٤- الجمجمة إضافة إبداعية لمسرح المونودراما: فادي ابو زيد جريدة الوطن (الكويت)

٥- دراسة عن رواية القران العاشر: بقلم محمد جابر.

٦- دراسة عن القران العاشر بقلم عبد الكريم يحيى الزبياري/صحيفة الأديب البغدادية/العراق.

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

-
- ٧- أثر الصراع الإنساني والاجتماعي في مسرحيات حسين رحيم/صحيفة باخديدا/قرة قوش. أ.
د. نجم الدين عبد الله سليم.
- ٨- لعبة الأزمان عند حسين رحيم/دراسة في مجموعته القصصية لعنة الحكواتي. د. محمد جواد حبيب البدراني/جامعة الموصل.
- ٩- دراسة عن مسرحية عشق يبحث عن رحيل للمؤلف حسين رحيم: بقلم د. احمد قتيبة، مركز دراسات الموصل.
- ١٠- بحث (سيمينار) عن مجمل أعمال المسرحية بعنوان (السلطة في مسرحيات حسين رحيم) للدكتور احمد قتيبة.
- ١١- التماهي في رواية (ابناء السيدة حياة) ...للروائي حسين رحيم ...للقائد صباح سليم.
- ١٢ - المينا سرد في القصة (قراءة في قصة لعنة الحكواتي للروائي حسين رحيم)...بحث للدكتورة وجدان توفيق الخشاب.
- ١٣- الواقعية السحرية في قصص حسين رحيم: الناقد صباح سليم.
- ١٤- دراسة لأعمال حسين رحيم المسرحية واخرين...رسالة ماجستير من جامعة بابل: زياد طارق فاضل.
- ١٥- التجريب في مسرحيات حسين رحيم..رسالة ماجستير للطالبة خلود يوسف عبود الدوري..جامعة تكريت.
وأكتشفت مواهب في الشعر والقصة^(١٣) والحديث للروائي حسين رحيم .

المبحث الأول : قراءة في الرواية :

أنَّ المكان عنصر من عناصر البناء الفني في النص الأدبي إلى جانب عناصر أخرى كـ (الشخصيات والحدث والزمن والحوار واللغة الأدبية وفنون البلاغة كالاستعارة والتشخيص والكناية والتورية والتضمين والاقْتباس) وقد تكون بعض هذه الفنون أخذت مسميات حديثة على يد الدارسين المعاصرين، وعلاقة المكان بكل هذه العناصر علاقة بنيوية وبنائية متداخلة مع بعضها لغرض تكوين خطاب النص وتوصيله إلى المتلقي.

إنَّ العلاقة بين الإنسان والمكان قائمة على تبادل المشاعر والالتحام والتشرب حيث تنمو الدلالة النصية متشعبة متفرعة من خلال تكثيف الفعل الدرامي وتعقيد مساره، ذلك الفعل الذي يجمع الشخصية والمكان مع العناصر الأخرى وهما في عملية الدمج تلك يقوم كل منهما بالتأثير في الآخر والحفر فيه، لاسيما وأنَّ الإنسان/الشخصية قادر على منح الأمكنة والأشياء قيمتها وأبعادها الذهنية والماورائية، وقادر على تغيير ملامحها وتشكيلها على وفق أنماط مختلفة وقادرة أيضا على ابتداع بعض أنواعها، فما أن يطأ الكائن الإنساني مكانا ما حتى تبدأ فعاليات التغيير ليكتسب المكان هوية جديدة^(١٤)

وكذلك يفعل المكان بالإنسان والأحداث في الرواية حينما يعمل على دمج العناصر ببعضها مشكلا عنصر بناء فاعل لعناصر السرد الأخرى إذ لم يعد المكان فضاء حاويا محايدا ويتسم الإنسان بالإحساس العميق بالمكان ويتبين هذا النزوع المكاني جليا حينما يبتعد الإنسان عن كانه الأصلي فهذا النزوع يتواصل بوشائج متينة، حيث يحفر المكان في أغوار الذات مسارب عميقة تبدو فيها سطوة المكان واضحة على الإنسان من خلال الألفة والترابط بين الطرفين، حد المشاركة في الفرح والحزن^(١٥)، وصورة المكان والأحداث التي تعرضها الرواية إنما تروى من خلال رؤية خاصة، يعرفها سعيد علوش بأنها " موقف يتخذه المؤلف من موضوع أو شيء ما " ^(١٦).

في رواية (القران العاشر) اختار الكاتب حسين رحيم أجواء السحر والانتقال في الزمن والأحداث الخارجة عن المؤلف، فهي (ليست حكاية ولا مجموعة حكايات ولا هي سيرة ذاتية ولا هي رسم دقيق لشخصيات اجتماعية ولا استعادة تاريخ ما من مكان ما بل هي كل هذه وتلك ولكن بعقل فيلسوف وعين شاعر وخيال فنان) ^(١٧) فهي نص إشكالي، وعليه يمكن تصنيفها ضمن الواقعية السحرية؟!،

الرواية كتبها بعد سنوات وقراءات في الأساطير والميثولوجيات، يقول الروائي في حديثه عن هذه الرواية (قراءاتي في بواكير حياتي للفلسفة الوجودية والماركسية والظاهرانية والتي عمقت

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

معرفتي بالعالم قد مهدت لكتابة الرواية عندي وخاصة (القران العاشر) ^(١٨) فمنها السحر الذي أخذ حيزا هو الآخر، كذلك تحطيم سواتر الزمن وانتقال البطل بين الحاضر والماضي والمستقبل بحثا عن تعويذة جده (حاطوم) الأكبر للتخلص من لعنة مطارديه.

وهذا الصراع ما بين دونية أخيه ومثالية جده وضعه أمام أسئلة وجوده المتعين في الحاضر، لذلك كان مأسورا بهاجس البحث المدفوع بالرغبة والخوف من نفسه وعلى نفسه.. من هو؟ ولماذا هو دائما هكذا؟ فأحاطت به التعاويذ ودفعته إلى عمق الأسطورة فانساق لها! ^(١٩).

إن قراءة رواية "القران العاشر" أوقفنا عند مسألة جوهرية هي: إن الحقائق ذاتها ليست هي، وما يشغلنا حقا وانما: الدلالة، يقول شتراوس (إنني لا أتوخى إظهار الكيفية التي يفكر بها البشر في الأساطير بقدر ما أتوخى الكيفية التي تفكر بها الأساطير في البشر دون وعي منهم) ^(٢٠). تبدأ الرواية باستهلال يلي العنوان " احذر يا بني فالقران العاشر آت لا محالة وانفر بنفسك قبل نقر الناقر " من قصيدة منسوبة لابن سينا عن "طبقات الملوك" ^(٢١)، إن هذا الاستهلال-ذا المرجعية الماضوية المستندة على علم الأفلاك والنجوم عند العرب قديما والذي كان يعتمد على قراءات الكواكب في تحديد أزمان الخير والجفاف والكوارث. والتي أخطرها " القران العاشر"-ينبئ بكارثة تحل بالأرض. سيشهد ذلك متفتحا داخل متن الرواية وبين طيات صخوره المعلقة عليه مرة، ومرة في إهماله كليا "البيت" ^(٢٢) إن اعتلاء البيت لهذه الصفحة في مستهل الرواية يعد (فاهمتنا) بشئ تسكنه ويشكل داخلا لما فيه من حاجز عن الخارج، هذه هي لعبة الرواية حيث ستمتد هذه التداخلية بين التخيل والتمثيل، بين السؤال والمثال، لا تعرف بيتها كما تعرف البيت. الذي سيأخذنا من بيتنا الملجأ إلى ملجأ داخل البيت، ستبقى ربما فيه أو خارجه ذلك ما تحدده الأقواس عادة، وان كانت تخيلاتنا ومخاوفنا بلا أقواس داخل البيت وخارجه معا.. وعبارة مقطوعة ومترابطة هذا ما تبديه الرواية. لتبدأ الرؤيا متى بدأ ذلك.. لا احد يعلم..

تجمعت أشلاني صخرة.. صخرة إن هذا التقطيع والتقطير بشكل صخرة هو النبوءة الاولى... نعم إن شفرة الكتابة مستغلقة كهذه الصخرة التي تشكلت منذ قليل دون كيفية مبررة شأنها شأن لغة الأساطير التي ليس لها حتى الآن متكلمون سوى هسيس لغة الإنتاج نظام وأضواء زعما تقره إلى محاولة المطابقة بين المنهج والموضوع، وذلك من إنتاج عقولنا ومن خصوصياتها، لكي تعود إلى رשدها بعد هذه السياحة الأسطورية (صخرة، صخرة تستكين فوق بعضها البعض بألفة والتحام لتتمو جدراني كفروع شجرة متوحشة " في النهاية أعلن عن وجودي " إن هذه الأحكام هي الدليل الوحيد

الذي نملكه حول طبيعة الأعراف غير الطبيعية المشتغلة داخل المتن بشعرية لإنتاج المعنى أو حتى للإعلان عن وجوده كسطوع في النهاية، إذ أن التعارض بين الصخرة والانا يمثل فاعلا منطقيا مشفرا وتتطوي عليه هذه السيرة من البداية إلى النهاية، ليغدو ممكنا، وهناك تكرارات كثيرة في الرواية وهي توحى إلى تقسيم الرواية أو المحكي إلى عودات وفراغات ماضية ومستقبلية، انها رواية كارثية خرافية يجب قراءتها مرارا^(٢٣).

وأبرز شخصيات الرواية:

١. الراوي-بطل الرواية (موظف في دائرة الأحوال الشخصية).
٢. المرأة العجوز-العرافة.
٣. حاطوم - شخصية خيالية تمثل الجد الأكبر.
٤. ثلاث شخصيات-كائنات عجائبية (حراس التعويذة).
٥. شخصيات ثانوية: الأب والأم والزوجة والأخ.
٦. شخصيات غرائبية خيالية: عجوز سيدة المغزل، الرجل الضرير - مستأجر لدى العرافة - والرجل الذي عشقته جنية، والدراويش السبعة، المرأة السفيهة والسقا، الطفلة الصغيرة، وجمهرة الرجال والنساء...

٨. شخصيات تاريخية أسطورية: زيوس، سيزيف، بروميثيوس، وكلكامش، وانكيديو، وحكيم الفرات. وأما علاقة هذه الشخصيات الخيالية العجائبية مع المكان فيمكن القول أنها لما كانت تتسم بخصائص وصفات خارقة فإن تواجدها يكون مفاجئا ولا تحتجزها الحدود والأسوار والجدران، لكن بشكل عام تتواجد غالبا في الأماكن غير المألوفة وغير المزدحمة بالبشر كالخرائب والأزقة المظلمة والمقابر والبيوتات القديمة المهجورة التي تكثر في المناطق الشعبية أو اطراف المدن الخالية من السكان.. وما إلى ذلك.

والراوي (الحاطوم-الحفيد) في (القران العاشر) سارد من الدرجة الثانية، حيث يكون هو بمثابة سارد داخل الرواية، مشارك في الأحداث التي يرويها، و يحكيها بضمير المتكلم، أي أنه بمثابة راوٍ حاضر كشخصية في الحكاية التي يروي أحداثها مستعملا ضمير المتكلم^(٢٤).

وقد هيأ السارد متلقي الرواية لتقبل هذا الحكي العجيب، بمخاطبته مباشرة لاخترق الطبقات الزمنية والإفلات من سلطة الخوف والحيرة مما قد يسمعه من أحداث غير طبيعية تفوق التصور، وهذه هي بمثابة دعوة الكاتب للمتلقي إلى اختراق المكان الذي يتواجد فيه، لينتقل إلى مكان آخر حيث تجري أحداث الرواية العجيبة.

المبحث الثاني : أنواع الأمكنة في الرواية ودلالاتها :

إن رواية (القران العاشر) بكل أحداثها وشخصياتها وخصوصية أمكنتها، هي رواية عجائبية بامتياز، ذلك أنّ التعجيب سمة بارزة فيها تشكيلا ودلالة ووظيفة، لكن مكوناتها هي نفس المكونات البنائية للخطاب الروائي عامة (لذلك لم تكن الرواية العجائبية جنسا أدبيا مستقلا عن الرواية، وإنما هي نوع من أنواع الرواية الحديثة، إلا أن العجائبي يتضمّن اختلافا وشكلا جديدا من السرد، وإذا كانت الرواية الواقعية تحاكي الواقع، فإن العجائبية تتجاوزه إلى اللاواقع واللامنطق، من خلال خاصيتي التعجيب والتغريب)^(٢٥).

وفي هذا المبحث ننتقل من هذه المفاهيم والإشارات إلى دراسة الأمكنة وتحديد أنواعها ودلالاتها في الرواية.

يحتل المكان في الرواية حيزا واسعا، ومتنوعا، ويجسد دلالات عديدة، وقد يوّد ذلك لدى القارئ تساؤلات، منها:

- ١- ما أنواع الأمكنة وأبعادها وأهميتها ودلالاتها في الرواية؟
- ٢- ما مسار المكان داخل نص الرواية؟، وهل هو مسار خطي منذ بدايته إلى نهايته؟ أم هو مكون له دلالات تحيا في خضم التفاعل مع مكونات النص الأخرى؟ وما علاقته بعناصر السرد التي تتشكل منها هذه الرواية؟
- ٣- ما هي آليات رسم المكان وتأثيره في الرواية؟

لقد تزاومت الرواية بعجائبية الفضاء و تحولاته، حيث يتداخل الزمان مع المكان وتتمظهر فيهما الشخصيات و الأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية و بحساسية الكاتب.

و لقد اجتهد الكاتب في وصف هذه الأمكنة لخلق ديمومة إحساس تربط الأماكن بالشخصيات، و وظيفتها بطريقة تجعلها ترتقي جماليا وفق انفعالات و تصورات تلك الشخصيات، مما يعني أن الأماكن عند الكاتب لا تعني ذلك البعد الهندسي الجاف بقدر ما تحمل من دلالات و إحياءات في ظلّ تواجد الشخصيات بها.

و قد كانت معظم الأماكن مشحونة بدلالات العنف، و القوة و الرعب و التمرد، اتّسمت فيها حركية الأحداث بالجانب العجائبي الغريب في كثير من الأحيان. وحتى المكان الواقعي المقدم بصورة عجائبية لم يأت منفصلا عن باقي مكونات البنية السردية، لا

سيما الشخصيات، فهو مكان يعمق الإحساس و التعجب لأنه يكشف عن قسوة ورهبة، كما يبدو مكانا غير واضح المعالم، إذ هو مكان يمثل رؤية فلسفية وفنية عند الكاتب. ولو استعرضنا مسار أحداث الرواية في أماكنها لنجد أنها متنوعة عديدة من حيث أنواعها وأشكالها وأحجامها، فمنها المفتوحة، ومنها المغلقة، والأليفة، والمعادية، ومنها متخيلة لا تمت بصلة لأي نوع من الأمكنة المألوفة والمتعارف عليه من قبل البشر العاديين!. وأبرز الأمكنة التي تدور الأحداث وتتحرك الشخصيات خلالها، هي: **الغرفة، والبيت، والمقبرة والزقاق، والسطح، والأحياء الغريبة، والدائرة، والجدران، والسرير، الأبواب الخشبية العتيقة،** والغالب على هذه الأماكن أنها قديمة وتفوح من جدرانها رائحة الرطوبة والعفونة وجدرانها متآكلة متشققة، وفوق كل ذلك أنها غير مرئية متخيلة، ولا تستقر على حالة في علاقتها مع الشخصيات فهي معادية أحيانا، وتكون أليفة أحيانا، وفي أزمان آنية حيناً، وحيناً في أزمان متباعدة..؟! ومما يجدر ذكره أن الأماكن في الرواية ليست مادية صماء بل هي تتشارك أحيانا في صنع الحدث وتفعله، كما نجد ذلك حين ابتدأ السارد حكايته من عملية بناء (البيت) من قبل عمال مهرة، **!، قد جعل (البيت) كائناً يروي الحدث بضمير المتكلم؟!،** وكان مشهداً في مقدمة الأماكن التي أوردها الراوي/السارد: **(البيت.. متى حدث ذلك، لا أحد يعلم.. أشلائي تجمعت صخرة صخرة، تستكين فوق بعضها البعض بألفة والتحام ويزيد ذلك الالتحام جص مصهور من أكوار وجدت له وهذا الجص يتماوج، وينكور بأيدي سمراء تلحم الصخور النائثة ببعضها لتأخذ شكلاً نهائياً بمهارة وخفة فتنمو جدارني كفروع شجرة متوحشة.. الجدار يرتفع ليعزل جزءاً من تلك الأرض عن العالم، جدارني الأربعة، جهاتي الأربع تحدد وجودي أزليتي، إنها ترتفع.. ترتفع، الصخور من أسفل الجدار قنابر بلورية تقذف من أيدي العمال المهرة لتنفجر حيوات جديدة لم تدخل ميفات الزمن بعد.. ندوب هنا وهناك.. ثقب توزعت على أجزائي كمساكن أليفة للعقارب والأفاعي والعناكب.. فاس حديدية زرعت في إحدى الزوايا، ساطور مثلوم غاب في الجص بين طيات الصخور، ملعقة دستها يد صبي بعيداً عن أعين الآخرين) (٢٦).**

وهذا التركيز حول بناء البيت يرمز إلى أن الأحداث القادمة في الرواية ستدور فيه، وتخرج منه، فهو بذلك يكون بؤرة الانطلاق للحكي الروائي وهذا ما أكده الروائي في حديثه عن الرواية بقوله **(مفتتحها على لسان البيت الذي هو مركز الرواية ويتحدث عن كيفية إنشائه وصخوره التي وردت من عدة أمكنة وشكلت بناء هذا البيت بذاته ولذاته بمعنى كينونة منفصلة أي إنني أخرجت البيت من هويته المكانية واصبح عندي بطلا من أبطال الرواية ويبقى معهم حتى بعد رحيلهم نهاية الرواية لذلك حين أتحدث عن مكان اقصد مكانا بعينه وليس بذاته).**

و يأخذ هذا (البيت) العجائبي شكلاً أسطورياً كونياً، إذ يذكر السارد تفاصيلاً غريبة عن جلب

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

الصخور من قمم الجبال وربما من سور قلعة تاريخية قديمة أو من معبد أو من سور قصر منيف، شارك فيه جمع بشري ليكتمل بناؤه الأزلي (صخور أجتثت من ضلع قمة عسية أو ربما سورا لقلعة حصينة بناها قائد استبدل دمه بدم ازرق معلنا عن شجرة لاصالة عائلة كانت.. قصر فخم، منيف بناه مهرجا لتاجا أبدية ربما عتق الايام في ذاكرة الناس تتفخ فيها روح القداسة والالوهية فتعبد.. جزء من مذبح سالت عليه دماء العذراوات وسط دمدمات الكهنة وحاملي البخور وهم يدورون حول أعمدة رخامية في ليلة قمرية.. سوراً لمدينة تكسرت عليه رماح الاعداء.. سداً منيعا يحجز مياه نهر خوفا من هيجانه.. أو أنت مفصولة من جسد صخرة بمعول سجين يحلم بتحول (المقلع) إلى فردوس ميدوزي الضمير يحول سجاني العالم الى تماثيل صخرية تنفتت كل يوم بمعاول تضرب بقوة وتصميم دون أيدي سجينه أليأس والقنوط لتعود في الليل كما كانت تماثيل صخرية بأسة وهكذا .....

..... في النهاية أعلن عن وجودي) (٢٧)

إن هذا التقطيع والتقطير بشكل صخرة هو النبوءة الاولى... نعم إن شفرة الكتابة مستغلقة كهذه الصخرة التي تشكلت منذ قليل دون كيفية مبررة شأنها شأن لغة الأساطير، والإشارة إلى الوجود عند السارد مقصود للترميز إلى الوجود الكوني/النشوء والحياة.

ومن بعد يعمد السارد إلى سحب ذهن المتلقي من ذلك الفضاء الأسطوري الكوني العام إلى الوجود الصغير الخاص بالشخصية الرئيسة (حاطوم الحفيد)، فيشير إلى أن البيت بعد اكتماله سيمتلئ بالناس من مختلف الأعمار وبالأثاث (من بصيص جمرة نبتت في باحتي ولدت تلك الألفة وتحركت على وجوههم جميعا، رجال/شيوخ/عواجيز/مجنوبون/أطفال وصبيان صفر الوجوه/فتيات صغيرات بشعر أشعث تلنقي ملامحهم بحيط ابدى يبدأ ولا ينتهي ... زاد توقد الجمرة، ودخل الآخرون تباعا، الصندلية/القبولة السيسم/البريمز/الفرش المجدولة والمنسوجة من شعر الماعز الجبلي الخشن/بسط وزوالي من صوف أكباش شعر، استقرت في الغرفتين لتمنع رطوبة ليالي صيف العجائز والأساطير) (٢٨). وهذه الأثاث هي من مكملات الحياة الإنسانية اليومية مما يدل على قوة صلة المكان بالإنسان ليعطي قيمة لوجوده.

وتأتي الإشارة الى (الجدار) المكان التالي بعد (البيت)، وأورده السارد في مشاهد وصور عدة؟! كأنه اللوح المحفوظ لمجريات الحياة عبر الأزل إلى يوم ولادة (الحاطوم الحفيد)!!، (كل ما في هذه الجدران له رائحة، للحب رائحة وللخوف رائحة/حديث الزوجين آخر الليل/عجائز/عوانس افترشن أرضيتي وفحيح أصواتهن يعبق جدرانى برائحة الظمأ والغل عن الذي مضى ولن يعود.. يتصاعد

كله ويلتصق بجدراني كالوشم/خوف/سباب/قهقهات/مرارة/لذة وجنون ودماء تنساب لأول مرة ولأخر مرة.. وسط هرج المحتفلين والحزاني تتشرها جدراني كأرض عطشى^(٢٩). وتحتل (الغرفة) كمكان مرتبة مهمة من حيث تعدد ذكراها وتنوع دلالاتها ما بين الألفة والعداء، هكذا هي الرواية العجائبية تمزج اللحم بالكوايس، فتتباين دلالات مكوناتها البنائية حسب الحالة النفسية للشخصيات العجائبية، والأحداث الغرائبية التي تتجاوز الواقع إلى اللامنطقي واللامعقول (جاء اليوم الموعود، دخل حاطوم الغرفة وهو ابن ثلاثين وادخل التعويذة في الجدار المواجه لضوء القمر واختار له حساباً فلكياً دقيقاً ثم سد بابها بجلد لذئب مستوحد وغطاها بالطين.. يا لها من مسؤولية.. كل هذا الزمن كجمرة خامدة بانتظار وقادها لتدفئ الأرواح الكلييلة الخاملة، كبر الصغار.. الأولاد استطالوا ونبتت لهم شوارب، غلظت أصواتهم، البنات كن اسرع في النمو، ظهرت الاستدارات على أجسادهن.. طال انتظارهن في الغرف ساهمات.. بانتظار الذي يأتي والذي لا... الكبار بدأوا بالتراجع والانزواء في زوايا الغرف، وتدخين اللفائف، والثرثرة والنرفزة، ثم هدأت أصواتهم وغادروا الواحد تلو الآخر يودعهم عويل النساء ونهفات الرجال، جاء آخرون.. ناموا في نفس الامكنة.. اختلطت روائحهم بالروائح السابقة وتغلبت عليها، تغيرت الأصوات التي ترن بين الجدران التي طليت باللون جديدة، محت السابقة ومحت معها آثارها من رسوم وكتابات وبصمات لأيدٍ صغيرة ملوثة بالطعام وسخام المطابخ، كان لرائحة الطلاء النفاذة الذي اتى على ما تبقى من الماضي.)^(٣٠)

ومما يستدعي انتباه القارئ تكرار السارد للسرير (قريولة)؟! (جاء يوم أن حبلت إحدى النساء وأكملت اشهر الحمل وعلى (قريولة) السيسم، جاءها المخاض، رأى حاطوم النور ونما وترعرع عليها وفي غرفتي تلمست يديه الناعمتين جدراني وأبوابي وارجل (القريولة)، انتعشت نفسي مجدداً.. ها هي الأيام الخوالي تعود.. دببت الحياة في صخوري ومسامات الجص بينها ... كلما زاد (بنيانه) طولا زاد يقيني بعودته، بمنائ عن الآخرين كان يحدثني طويلا واحده واسمع له ويدغدغ جدراني ملامسته الروحانية الرقيقة حتى سحبتة الحياة مني ودخل الزمن.. غاب غيبته الاولى، جاءت العرافة، سكنت، نامت على القريولة السيسم وصدرها يعلو ويهبط وينفث نفسا يحيي الذكريات ويشفع لي في سلوتي ووحدتي...^(٣١).

إن السرير (قريولة السيسم) هو من مستلزمات الزواج في المناطق الشعبية، حيث يلتقي الزوجان جسدياً عليه، ويكون أحيانا كثيرة كمكان للولادة، ولكن في الرواية قد استعمله السارد لحدث عجائبي وهو انتقاله من الحياة إلى عالم آخر -إعادة تحويله إلى حاطوم/الحفيد: (دخلت غرفة النوم تمددت على السرير نمت فجأة.. تفجرت في رأسي روى خارجة عن ارادتي. سافر جسدي في كل

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

الاتجاهات بأن واحد وكان هناك ممر طويل تحف به وجوه صارمة لأناس بأيديهم عصي وهراوات ولديهم الاستعداد لضربي في أي وقت وأنا لا املك إلا أن اصمت... (٣٢)

فالسريير مكان جمع بين الضدين (الحياة والغيوبية) وبهذا يعد السريير كمكان أثري يبعث على (الفرح) و(الدهشة الصادمة المحيرة)، فبرغم صغر حجمه وقصر أبعاده الهندسية إلا أن فاعليته تمتد إلى فضاءات أوسع وأكبر، فتولد رموزا ودلالات كثيرة.

(الأزقة) أمكنة معروفة في المناطق الشعبية والسكنية القديمة، فهي ممرات ضيقة نوعا ما تصطف على جانبيها البيوتات ذات طراز بنائي تراثي، وقد نقل السارد مجريات بعض الأحداث فيها لا تمام بناء الحكى الروائي المتوائم مع جو الحدث الرئيس (التحول)، ولكن أغلب هذه الأحداث في الأزقة هي قصيرة وسريعة زمنيا (كانت تسير امامي بسرعة وخفة كفتاة رشيقة دخلت زقاقاً ضيقاً على جانبيه ماضي لجدار قد تهيأ للرحيل عند اقل هزة، والعفن والرطوبة والتآكل قد سيطر عليه.. انحدر بنا بممر ترابي، اعترض طريقنا طفل قدر قد حشروه في جاكته ضيقة، دفعته المرأة بقسوة! وانحرفنا نحو اليسار فواجهنا زقاقا أضيق من الأول، في نهايته باب خشبي طويل عليه نقوش محفورة وقد تأكلت كنت أراها على كل البيوت القديمة في المدينة) وهذا الزقاق-الممر سيفضي بالشخصيتين (العرافة العجوز والموظف/بطل الرواية) إلى حدث مهم هو بداية دخول البطل مرحلة استلاب بشريته ليتحول بعده إلى كائن رؤيوي أسطوري: (حاطوم الحفيد)؟!.

وهناك أمكنة ثانوية في الرواية هي عبارة عن مسالك للسير أو الوقوف أو الالتقاء لفترة زمنية قصيرة، مثل: السطح، الحوش، الدائرة، السينما، المقبرة، التتور، غرفة أصحاب البيت، البيت الآخر، وفي مشهد متخيل لدى السارد: (مرة قلت لأبي لم لا نذهب الى بيتنا الاخر. وقتها انفجر أخي الكبير وأختي في ضحك متواصل فيما مطت امي شفيتها مستهجنة ونظرت الي نظرتها لكائن لا ينتمي لهم لكني لم اهتم سوى لجواب أبي (ليس لنا سوى هذا البيت يا بني).. لم يصدقني احد.. حتى الآن لو قلت لزوجتي لن تصدقني... من المؤكد أنها من سلاتهم.. من يصدق ذاكرتي المنحرفة، بعد أن دنسها أولئك الثلاثة.. أيهم ذلك؟.. سيبقى البيت كما هو وابقى كما أنا، أما جروحي فستشعر بالخجل يوما ما وتختفي هذا البيت ورائحته هو مفتاح طلسم احلامي) (٣٣).

البيت الآخر هو بيت خيالي من عالم آخر تجري فيه أحداث تترأى لحاطوم الحفيد ويشترك فيها لوحده مع كائنات خرافية...؟!.

مع أن بطل الرواية/السارد موظف في (دائرة الأحوال الشخصية) إلا أن ذكر مكان العمل هذا لم يكن بارزاً وفاعلاً! وذلك طبيعي لأن الدائرة مكان واقعي تجري فيه وقائع حياتية تقليدية لا تتواءم مع حالة الحاطوم الحفيد وعالمه الخيالي ففي مشهد يتخلله حوار قصير يرد ذكر الدائرة: (في الدائرة/أوراق/تواقيع/صور لوجوه تتلاحق بسرعة أمام عيني دون أن تعبر البصر وجمع امام مكتبي يرقب يدي السريعة وهي تنهي المعاملات.. من بينهم برز هو، وخزة بين اضلعي ارتعاشة ثم تسمرت عيناى على ذلك الوجه والشارب الاصفر وجاعني صوت استعدت منه طعم تلك اللحظات المرعبة: هل انتهت معاملتي يا استاذ. لم يكن خوفي مهما بقدر ما كانت محاولات إخفائه. أعطيته الأوراق، وخرج.. لم يعرفني لكن خوفي عرفه) (٣٤).

و(الشارع) في الرواية يشغل مشاهد قصيرة، لكن أهمها مشهد يوحي للسارد/بطل الحدث أنه في دوامة البحث عن ذاته الضالة التائهة (خرجت إلى الشوارع التي داستها قدماى برشاقة وطلاقة، صبياً وشاباً ومن ثم موظفاً. بتلك الرشاقة والطلاقة، تخطيت المحلات ووجوه المارة التي كانت تعبر بجانبى دون الانتباه الى إنها تعبرني وكأني غير موجود.. أنا أسير وأبحث عن وجه ينتبه لى.. عبرت ذلك الشارع العريض المزدهم، وصلت مفترق شارعين، أيهما أعبر، كان على رأس أحدهما متسول قد اتخذ زاوية، يقف بإباء وشموخ كقائد عسكري و ماداً يده اليمنى باستقامة غريبة والشارع الاخر تقف عربة حوزي.أيهما أعبر.. إن عبرت يميناً يجب أن أمر قرب المتسول وذلك يؤذيني لسبب ما وإن عبرت شمالاً يجب أن أمر قرب عربة الحوزي الذي يظهر عليه أنه ينتظر شخصاً ما.. ربما أكون أنا وهذا ليس فالأ حسناً لى، أخرجت قطعة نقود ورميتها فى الهواء فسقطت صورة، حسناً لقد فزت أيها الحوزي، اتجهت شمالاً.. حالما لمحني، تهاى وكانه يقول فى قرارة نفسه، وأخيراً ابتسم لى.. كان الشارع كقرية مهجورة حيث السكون والصمت، وكان الحياة قد قطعت عنه إمداداتها من البشر والصخب) (٣٥).

هكذا قاده الشارع إلى قدره المحتوم (الموت ثم الحياة) وكان دليله حوزي ينتظره ليعود به إلى حيث ينتظره الجد/الحاطوم الأكبر، والعرافة، وحراس التعويذة، وآخرون فى البيت الكونى الكبير (حين وصلته اتسعت ابتسامته، وقال بثقة: -أهلاً سيد حاطوم.. اركب.. اركب. -يا إلهى لقد عدنا من جديد.

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

-وقفت وأنا اداري اضطرابا كبيرا في اعماقي..

-كيف عرفت اسمي.؟.

-واعرف بيتك.. ومكان عملك.. لا تستغرب فان هنا-وأشار إلى رأسه باصبعه، بنك معلومات.. أنا اعرف نصف سكان هذه المدينة فكيف بك يا أستاذ، وانت الموظف المعروف المستقيم.. اصعد واجلس يا سيدي.. طمأنني كلامه قليلا فركبت، مس ظهر الحصان العجوز بالسوط فتحرك ببطيء ، واردف قائلا:-أتعرف يا سيدي أن لهذه العربة تاريخا حافلا.. ليس هي فقط، أنا والحصان أيضا، نحن الثلاثة نشكل تاريخا واحدا حافلا بالأشياء الرائعة) (٣٦).

لو ارتأينا أن نقسم هذه الأمكنة إلى أنواع من حيث أبعادها وأشكالها الهندسية (مكان مفتوح ومغلق وأليف ومعادي) فذلك ليس من الصعوبة فعلة، لأن أمره معروف لدى المهتمين وحتى عامة القراء، لكن طبيعة الموضوع والأحداث ومستلزمات البناء الفني لهذا النوع من الروايات تجعل تحديد النوع أمرا غير مقنع للمتلقي لتعدد دلالات المكان الواحد وتباينها من حدث إلى آخر.

الخاتمة

رواية (القران العاشر) رواية عجائبية تتجاوز أحداثها الواقع والمنطق والمألوف إلى اللواقع واللا منطق واللا مألوف، إذ يمكن عد ما يجري فيها من أحداث وسلوك الشخصيات هو فانتازيا خيالية موضعها ذهن الكاتب المملوء بروى وحكايات وأساطير تبحث عن الخلاص والمثال للذين تفقدتهما الإنسانية في عصرنا الحالي.

كما نجد أن الراوي هو السارد نفسه (حاطوم الحفيد) وهو الشخصية الرئيسية في النص ومن خلالها تتكشف مسارات الأحداث العجائبية وحركة الشخصيات الخيالية الثانوية.

كذلك تمزج الرواية الحلم بالكوابيس لتطرح على المتلقي فكرة سيولة الحياة من السلف إلى الأجيال التالية حيث لا شيء يفنى ويموت بل ينتقل ويتجدد (الحاطوم الجد والحاطوم الحفيد) ويختلط السرد باللامنطقي واللامعقول بالواقع الذي عاشه الراوي.

كما أن مجريات الأحداث الغرائبية كانت في أمكنة مختلفة لكن مرتكز انطلاقاتها وعودتها كان (البيت والغرفة) حيث تجري فيهما الصراعات والتحويلات الرؤيوية الحاسمة (موت وإحياء)، وما

عدهما كان أمكنة ثانوية لحركة الشخصية الرئيسة للالتقاء والتواصل مع الشخصيات العجائبية. ومن خلال قراءة النص يكتشف المتلقي أن المكان في الرواية عنصر فاعل وليس مادياً ديكورياً فكل جزء أو شكل له دلالاته ورمزيته، فحين كان المكان الصورة الفنية التي تبعث ذكريات ماضية في ذهن الراوي/السارد- الحاطوم الصغير- كان في الوقت ذاته حيزاً غرائبياً تجري فيه الأحداث اللامنطقية، وفي جملة أصبح المكان في الرواية يؤدي دوراً ووظيفة دلالية وفكرية.

ورواية (القران العاشر) بحاجة إلى قراءات عدة لكشف العلاقة البنيوية بين عناصر البناء الفني الأخرى (اللغة والحدث والشخصية الزمن والفنون البلاغية) لكي تكتمل القراءة عند المتلقي، لكن ما توصل اليه البحث هو: أن المكان في الرواية لم يكن عنصراً ثانوياً زائداً بل اتخذ أشكالاً وتضمن معاني ودلالات ورموزاً عديدة، وكان في أغلب المشاهد هو الهدف من العمل الأدبي كله، وترتكز رؤية الكاتب على أن (المكان العلوي بامتداده ولا نهائيته هو الذي يعيد تشكيل الحياة المنتهية في المكان الأرضي).

إن هذه الرواية برمتها ليس منجزاً نمطياً عادياً، ولذا تصعب قراءته من قبل المبتدئين غير المهتمين بالنقد والتقويم، فهي رواية تتشابه عناصر بنائها وتتداخل مع بعضها، وخاصة أحداثها العجائبية التي تتخذ مسارات غير ثابتة زمنياً.

ويمكن أن ننتهي بالقول: إن هذه الرواية يمكن تصنيفها ضمن الأدب السيري أيضاً باعتبار الراوي السارد (الحاطوم الصغير) كان يحكي عن نفسه، لكن شخصية الحاطوم لا تمثل حياة الكاتب (حسين رحيم) مباشرة بقدر ما تمثل البشرية عامة في عصر التحولات المادية والقيمية والفكرية الحالية.

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

رواية (القران العاشر) حسين رحيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٧.

ثانياً: المراجع:

١- الأسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحوار، اللاذقية ١٩٨٧.

٢- الإنعكاس والفعل، ديالكتيك الواقعية في الابداع الفني، هوريس ريديكر، ترجمة: فؤاد مرعي، تدقيق: عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٧، ط١.

٣- المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، دار ابن هانئ، دمشق، ١٩٨٩.

٤- بناء الرواية، د. سيزا احمد قاسم، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥.

٥- بناء الرواية العربية السورية، د. سمر روجي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.

٦- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠.

٧- تفسير أبي الحسن الرماني (الجامع لعلوم القرآن)، علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) جمع ودراسة وتحقيق د. خضر محمد نبها، تقديم: د. رضوان السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٢٠، ط١.

٨- تفسير غريب القرآن، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨، ط١.

٩- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ط٣.

١٠- شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لأدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين، كتاب الرياض، ٢٠٠٠.

١١- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣.

١٢- معجم لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ج ١٣، ط ١.

١٣- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ط ١.

١٤- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: نزار مصطفى الباز، مركز الدراسات والبحوث، ٢٠٠٩، ج ١.

١٥- المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية، فهد حسين، دار فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

ثالثاً: الدوريات:

طبقات الملوك للثعالبي، د.ياسر البديري، دراسة وتحقيق مشترك، دار الكتب العصرية، مجلة علمية، ٢٠١٦.

رابعاً المواقع الالكترونية:

١- <http://ahmedtoson.blogspot.com> قراءة في رواية القرآن العاشر لحسين رحيم بقلم: محمد جابر، موقع أحمد طوسون في ٨/١٠/٢٠١٥.

٢- <https://www.algrdenia> حوار مع الروائي حسين رحيم، أجرى الحوار: حكمت الحاج، الثلاثاء، ١٧ تشرين الثاني، ٢٠١٥.

٣- <https://m.alhewar.org> موقع الحوار المتمدن، لقاء مع الكاتب بعنوان: (في أدبنا العربي، الروايات كثيرة والروائيون قليلون) أجرى الحوار: حكمت الحاج العدد ٤١٦٧، في ٢٨/٧/٢٠١٣.

٤- <https://www.alnakedaliragi.net> الناقد العراقي حسين رحيم، الأحد ٢٢ مارس، ٢٠٢٠.

٥- <https://www.benhadoug> البعد العجائبي في رواية (الغيث) محمد ساري، موقع عبدالحميد هذوقة، ٢٠١٦.

٦- kitabab@kitabab.com حسين رحيم: الكاتب يعمل على الجرح الإنساني بروح قلقلة ومتحدية، محاوره: سماح عادل، السبت، ٢٩ كانون الأول، ٢٠١٨.

المكان وأنواعه ودلالته في رواية (القران العاشر) للكاتب الموصلّي (حسين رحيم)

فنان خليل مجيد الحامد

الهوامش

- (١): معجم لسان العرب: ابن منظور، مادة (كون)، ١٩٢/١٢.
- (٢): المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ٤٢٢.
- (٣): تفسير الرمانى (الجامع لعلوم القرآن): علي بن عيسى الرمانى: ١٣٣.
- (٤): تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ط٢: ٢٧٩.
- (٥): تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل): جار الله الزمخشري: ٢٦/٣.
- (٦): المكان في الرواية العربية : غالب هلسا : ٨-٩.
- (٧): بنية الشكل الروائي : حسن بحراوي : ٣٣.
- (٨): بناء الرواية : سيزا احمد قاسم : ٧٥.
- (٩): بناء الرواية العربية السورية : د.سحر روجي الفيصل: ٢٥٧.
- (١٠): جماليات المكان: غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا: ٥٢.
- (١١): المكان في الرواية البحرينية، حسين فهد: ٥٥-٥٧.
- (١٢): الأنعكاس والفعل، ديالكتيك الواقعية في الإبداع الأدبي: هوريس ريديكر، ترجمة: فؤاد مرعي، تدقيق: عدنان جاموس: ٢٩.
- (١٣): <https://www.alnakedaliragi.net>: الناقد العراقي حسين رحيم، الأحد، ٢٢ مارس، ٢٠٢٠.
- (١٤): شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لأدوار الخراط نموذجاً: خالد حسين حسين: ١٠٤.
- (١٥): م.ن: ١٠٦.
- (١٦): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش: ٢٢٢.
- (١٧): <https://www.algrdenia> حوار مع الروائي حسين رحيم: أجرى الحوار: حكمت الحاج، الثلاثاء، ١٧ تشرين الثاني، ٢٠١٥.
- (١٨): م.ن.

- (١٩) kitabab@kitabab.com حسين رحيم: الكاتب يعمل على الجرح الإنساني بروح قلقة ومتحدية، محاورة: سماح عادل، السبت، ٢٩ كانون الأول، ٢٠١٨.
- (٢٠): الأسطور والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة: صبحي حديدي: ٧.
- (٢١): طبقات الملوك للثعالبي: د.ياسر البدري، دراسة وتحقيق مشترك، دار الكتب العصرية، مجلة علمية، ٢٠١٦.
- (٢٢): الرواية: ٢.
- (٢٣) <http://ahmedtoson.blogspot.com> قراءة في رواية (القرآن العاشر) لحسين رحيم بقلم: محمد جابر، موقع أحمد طوسون في ٨/١٠/٢٠١٥.
- (٢٤): م.ن.
- (٢٥): <https://www.benhadouga> البعد العجائبي في رواية (الغيث) لمحمد ساري، موقع عبدالحميد هدوقة، ٢٠١٦.
- (٢٦): الرواية: ١.
- (٢٧): <https://m.alhewar.org> موقع الحوار المتمدن، لقاء مع الكاتب بعنوان: (في أدبنا العربي، الروايات كثيرة والروائيون قليلون) أجرى الحوار: حكمت الحاج العدد ٤١٦٧، في ٢٨/٧/٢٠١٣.
- (٢٨): الرواية: ٤-٥.
- (٢٩): م.ن: ٩.
- (٣٠): م.ن: ١٧.
- (٣١): م.ن: ٢٠.
- (٣٢): م.ن: ٢٢.
- (٣٣): م.ن: ٣٦.
- (٣٤): م.ن: ٤٤.
- (٣٥): م.ن: ٦١.
- (٣٦): م.ن: ٦١-٦٢.